

باسمه تعالى

العلاقة بين الشيخ حبيب والأمير في سورية ثم الملك في العراق فيصل بن الحسين .
إن أكثر مادة هذا التقرير مأخوذٌ ومُسجَلٌ عن إحدِيث شفاهيَّة مع الشيخ رضوان الله عليه . لأنه
كان يتحامى الخوض فيه كتابةً ، لما في ذلك من كشف أمور قد تؤدِّي إلى ما لا يحسن .

(1)

أول لقاء بين الشيخ والأمير حصل في بيروت ثم في دمشق ، بعد عودة فيصل من مؤتمر الصلح
الذي عُقد في فرساي ، للتداول والتقرير في شأن البلدان التي كانت تابعةً للدولة العثمانيَّة ، على قاعدة
وعد الدول المنتصرة منحها الاستقلال وفقاً للوعد المعلن من قبلها . وكان الشيعة في جبل عامل يؤيدون
قائد الثورة العربيَّة الحسين بن علي ومشروعه لإقامة دولة عربيَّة عاصمتها دمشق (حكومة الشرق
العربي) . وعليه فقد شكّل وفدٌ من السيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ حبيب المهاجر والسيد عبد
الحسين نور الدين ، انتقل إلى بيروت لاستقبال الأمير فيصل العائد من المؤتمر المذكور . الذي دعا أعضاء
الوفد إلى لقائه في دمشق ، حيث سيُطلعهم على ما تمخض عنه مؤتمر الصلح بالنسبة لمستقبل بلادهم .
في دمشق عُقدت عدَّة لقاءات مع الأمير أُلقيت فيه الخطب وتليت فيه القصائد ، كلها تؤيد
المشروع وتُبايع الأمير ، في جوٍّ من الاستبشار العام .

لكن ما قلب الأمور من حالة الاستبشار إلى التخوف مما يُحاك سرّاً ، أن السيد محسن الأمين دعا
أعضاء الوفد الثلاثة إلى العشاء في منزله ، حيث أطلعهم على ما أخطره به ولده السيد عبد المطلب ، الذي
كان آنذاك سفيراً لسوريَّة في موسكو ، أن الدول المنتصرة (الولايات المتحدة الأميركيَّة وفرنسا وبريطانيا
وروسيا) قد اتفقت سرّاً على تقسيم المنطقة العربيَّة فيما بينها تحت شعار الانتداب . وأن الدولة البولشفيَّة
التي استولت على السُلطة في روسيا قد فضحت السرّ المكتوم (مشروع سايكس بيكو) ، الأمر الذي
يتنافى مع وعد تلك الدول بمنح الاستقلال لها . وعندما وُوجه الأمير فيصل بهذه المعلومات ، حاول أن
يتجاهل علمه بها ، ثم لجأ إلى التغطية بالقول أن (المندة) MANDA (يعني الانتداب بالفرنسيَّة) ليس إلا
في سبيل مساعدة الدولة العربيَّة الناشئة على أصول الإدارة . الذي ليس لديه أدنى خبرة بشأنها ، في ظل
الحكم المزمّن للعثمانيين .

هكذا انكشف أن الأمير فيصل ضالِعٌ عن علم بالمشروع الاستعماري . الأمر الذي أدَّى إلى
انفصال الشيخ حبيب والسيد نور الدين وعودتهما إلى بلديهما . وعلى الأثر رأى الشيخ أن لا فائدة من

بقائه في الوطن في هذا الجو الخلاقيّ الملتبس ، فعاد إلى النجف . ومنه إلى العمارة حيث انصرف إلى مقاومة الحملة البروتستانتية التبشيرية التي نشطت في جنوب العراق .

(2)

ومن المعلوم أنّ وضع الأمير فيصل وحكومة الشرق العربي قد انهار بسبب النزاع الانكليزي - الفرنسي على سوريا . فبمقتضى اتفاقية سايكس بيكو تكون سورياً من نصيب الفرنسيين . ولكنّ عمل انكلترا على تنصيب رجلها فيصل أميراً عليها جعلها خاضعةً للنفوذ البريطاني . ولذلك فقد لجأ الفرنسيون إلى حلّ الخلاف بالقوة فدخلت قواتها دمشق وطردت أميرها . الذي سارع الانكليز إلى منحه ملك العراق . وهكذا نسجت هذه السلسلة من الأحداث نمطاً آخر من العلاقة بين الملك والشيخ .

فمن المعلوم أنّ الشيخ حبيب نجح نجاحاً باهراً في هزيمة وطرده الحملة التبشيرية ، بعد أن سجّلت خطواتٍ متقدّمة في تنصير أعدادٍ كبيرة في جنوب العراق ، خصوصاً في الأوساط الميسورة ، التي ربّت أبنائها في المدارس التي أنشأتها . وبهذا الإنجاز اكتسب الشيخ نفوذاً أدبياً مطلقاً لدى أهل المنطقة . الأمر الذي لم يكن خفياً على الملك الجديد . ومن هنا فإنّه عندما زار المنطقة زيارته الأولى أطلق كلمته الشهيرة : " أنا ملك العراق عدا جنوبه . فالشيخ حبيب هو ملك الجنوب " . وهو كلامٌ لا يُخفي ضيقه الشديد بهذا العالم الدينيّ ونفوذه . خصوصاً وأنّه لم ينسَ موقفه المعارض من إمارته على حكومة الشرق العربي في دمشق قبل بضع سنين .

ومع ذلك فإنّه لم يلجأ إلى اتخاذ أي إجراءٍ مباشرٍ وعلنيّ بحقّ الشيخ . لعلمه بأن ذلك سيكون له أسوأ الأثر على وضعه ، لما للشيخ من ولاءٍ جماهيريّ واسع . ولذلك فقد لجأ إلى وسيلة ضغطٍ ملتوية . بأمر بعض كبار الإقطاعيين في المنطقة بالضغط باتجاه إخراج الشيخ من العراق ، تحت طائلة حرمانهم من (اللزمة) ، أي تلاميذ الإقطاع الذي تحت أيديهم الذي كان يتمّ بقرارٍ سنويّ من الدولة . فزاره بعضهم ليقولوا له أنّ لديهم معلومات بخطةٍ لاغتياله ، وأنهم عاجزون عن حمايته . الأمر الذي أدّى في النهاية إلى مغادرته العراق نهائياً . بعد أن تداول في الأمر مع السيّد أبو الحسن الإصفهاني ، وإصرار السيّد على ضرورة الخروج من العمارة فوراً . ثم جرت محاولات لعودته إليها . ممّا وقفنا عليه في كتابنا على سيرة الشيخ وأعماله .

نقول أخيراً أنّ الشيخ يذكر في كتابه (الإسلام في معارفه وفنونه) أنّه زار الملك فيصل بيته في بغداد ، وأثنى على لياقته وأدبه الجمّ . ولكننا لا نعرف متى تمتّ هذه الزيارة . ونظنّ أنها على أثر تنويجه

ملكاً ، أي قبل زيارته للعمارة . كما نظن أن عرض الشيخ من الزيارة كان تلطيف الوضع مع الملك الجديد
بعد موقفه منه في دمشق .
